سر نشأة الحضارة المصرية

خطأ العلمانيين في تفسير نشأة الكون

إن العلمانيين من المؤرخين ينطلقون من مُسَلَّمة يبنون عليها أفكارهم ومعتقداتهم وهذه المسلمة هي أن الكفر وعبادة قوى الطبيعة أو عبادة الطوطم (١) هي الأصل وأن الرسالات السماوية ما عرفتها البشرية إلا بعد آلاف السنين من الخليقة .

وأن الحضارة المصرية التي ولدت كاملة النمو إنما هي من صنع الطبيعة، أو من صنع الملوك السحرة ، أو من صنع كائنات من كواكب أخرى أرقى عقلاً وعبقرية ومعرفة وحضارة !!

ولم يهتم الباحثون بربط الرسالات السماوية بالوثائق ، والآثار التي تؤكد أن أنبياء الله عليهم السلام هم الذين بنوا هذه الحضارة بواسطة العلوم الإلهية التي أمدهم الله تعالى بها ، لكي يعبدوا الله تعالى بتعمير أرضه ، كما أمدهم بالعقيدة والشريعة ليعبدوه تعالى وحده ويقيموا شرعه.

ويستنكر الكثيرون هذا القول ، ويتساءلون في دهشة :

هل كان لدى المصريين القدماء كتب سماوية منزَّلة من عند الله كالتوراة والإنجيل والقرآن ؟!!

---

(١) الطوطم حيوان يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية ، وبخاصة أهالي استراليا الأصليين ، ويعتبرون لحمه محرما على أفرادها لاعتقادهم أنهم انحدروا منه ، وبعض العشائر تتخذ طواطمها من النباتات أو الكائنات المادية ، أو حتى من الظاهرات الطبيعية . " الموسوعة الثقافية " ص٦٤٣ دار الشعب

والسبب الآخر في خطأ كثير من علماء المصريات في تفسير نشأة الحضارة المصرية القديمة يرجع إلى الخطأ في الترجمة عن اللغة المصرية القديمة فلو ترجمت الوثائق ترجمة صحيحة عن الأصل الذي كتبت به لأكَّدت أن ما أتت به الحضارة المصرية وغيرها من الحضارات إنما هو من المعجزات التي أيد الله تعالى بها أنبياءه ورسله، ومما أوحى لهم به من علوم علموها للناس ليصلحوا بها حياتهم كما علموهم من هدى الدين ما يصلح آخرتهم .

ضاعت الحقيقة ، ولم يعد هنالك من يحكي عن عقائد المصريين القدماء وعبادتهم سوى بعض الرحَّالة والمؤرِّخين بكل ما فيها من زيف وجهل وخرافات .

قال المؤرِّخ شمبليون : " وعندي أنه لا يعتد بما قاله بعض أهل التاريخ من الأغراب الذين تطفَّلوا على محافل مصر فنقلوا من أخبار عياداتهم كلاماً اكتفوا في نقله بالظاهر دون الحقيقة لجهلهم بعادات المصريين ولغتهم ، ومبلغ علمهم بالديانات الصحيحة "

كما ذكر مترجم كتاب " الحياة الاجتماعية " لبتري : " لقد تعرَّضت حياة الشعب المصري في الأزمان الغابرة لكثير من المسخ والتشويه على يد المؤرِّخين الأجانب وقد ظلَّت هذه الصورة المشوَّهة والروايات الكاذبة التي أذاعها الجُهَّال والمغْرضون يرددها الناس مئات السنين . "

وهكذا شاءت الأقدار ألا يبقى عن عقائد مصر القديمة سوى كتب أولئك المؤرِّخون القدماء بكل ما فيها من خرافات وجهل وأكاذيب يقرأها الناس فيسخرون أو يشمئزُّون ، ولا يعرفون عن مصر القديمة وأهلها سوى أنهم كانوا كَفَرة مشركين عُبَّاد أوثان وأصنام!!! (١)

(١) د. نديم السيار " قدماء المصريين أوَّل الموحدين " الطبعة الثانية ص ٤

يقول د. سليم حسن : " إن من يعرف اللغة المصرية القديمة وصعوبة فهمها واحتمال اللفظ من المعاني يلتمس العذر لعلماء الآثار في اختلافهم تعدد آرائهم وتباين مذاهبهم موضوعات كثيرة " (١)

الوثائق المصرية تبوح بسر نشأة حضارتهم

إن الوثائق المصرية تؤكد وتلح في التأكيد على أن ما وصل إليه المصريون القدماء من علوم ومعارف إنما كان من وحي السماء " إن المصريين القدماء أنفسهم إذ يذكرون أن كل العلوم – الدينية والدنيوية – قد جاءتهم وحياً من السماء عن طريق الرسل .

يقول أرنولد توينبي فيلسوف المؤرخين في هذا المعنى " إن الله تعالى الواحد الحق قد اغتنم فرصة الصدام والانهيار اللذين أصابا التقاليد المحلية القديمة ففتح أذهان أصحابها واستغل هذه التجربة الأليمة فأنار هذه الأذهان التي تفتحت مؤقتاً وبصَّرها بمعرفة ذاته ، ومقاصده على وجه أكمل ، وأقرب إلى الحق مما يتسنى لهم معرفته من قبل " (٢)

إن المصريين القدماء يؤكدون ذلك بل ويذكرون أن كل العلوم التي أنشئوا بها حضارتهم قد جاءتهم وحياً من السماء في صحف مقدسة .

يذكر د. أحمد بدوي في كتابه " تاريخ التربية والتعليم في مصر " أن علْم قدماء المصريين – في اعتقادهم – مَرْجعه إلى السماء ، جاء به رُسُل من حكماء الماضي، وهو مدخر في الصحف يتناقله الناس جيلاً بعد جيل "

---

(١) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج١ ص (ب، ج) الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٢) أرنولد توينبي " الحضارة في الميزان " ترجمة أمين محمود الشريف ص ١٩٣ دار إحياء الكتب العربية .

ويذكر د. عبد العزيز صالح : " رأى المتدينون – المصريون القدماء – في التَّزوُّد من مناهل العلم والعمل بهَدْيها نوعاً من التعبد في الدنيا ؛ فكان الداعي إلى دراسة هذه العلوم يعتبر نفسه داعياً إلى أقوال الرب "[١]

ونسب كتاب الموتى (برديات الكتاب المقدس للحكيم آني) بناء الهرم الأكبر الذين أطلق عليه اسم (بيت الأماكن الخفية) إلى الإله تحوت إله المعرفة وكاتم الأسرار الإلهية وحارس كلمات العدالة والحق . ناقل الكلمة والحرف وقياس الوقت والزمن ، ليكون معبداً وهيكلاً للخالق الأعظم وينقل منه رسالته إلى البشر ، وهو ما فسر للعلماء والباحثين " لغز الهرم الأكبر " فيما يختص بالغرض الذي بني من أجله ."[٢]

والإله " تحوت " ما هو إلا نبي الله " إدريس " عليه السلام أو " هرمس " عند اليونان كما بينا من قبل .

المصريون أصحاب أقدم تكنولوجيا عرفها التاريخ

ولا عجب إذن أن يكون شعب مصر أول الموحدين هم أنفسهم أصحاب أقدم تكنولوجيا عرفها التاريخ فهم الذين اخترعوا المحراث ، والمنجل ، والمطرقة ، الجاروف ، والمكنسة ، المنخل ، الغربال ، والمغزل ، والنول ، والبكرة ، ...

ولقد برع المصري القديم في النسيج براعة فائقة ، عثر على الكثير منه وهو في غاية الدقة والبراعة والإبداع .

والمصري أول صانع في التاريخ ، وهو الذي علم الدنيا كلها فنون الصناعة كما علمها الزراعة ، وقبل هذا علمها التوحيد وعبادة الله الواحد الأحد .

---

(١) د. نديم السيار " قدماء المصريين أوَّل الموحدين " الطبعة الثانية ص ١٩٥ ، ١٩٦

(٢) د. سيد كريم " لغز الحضارة " ص ١٩٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وهي أول من استأنس الحيوان واستخدمه ليساعده في عمله كالحمار ، الثور ، الكلب ، والقطة ،والحصان ، الجمل أو ليستفيد من إنتاجه النحل ، والغنم ، والبقر

كان المصري يعامل حيواناته برفق ، ويقودها إلى الحق وهو ينشد لها الأغاني"[1] ومازال الفلاح المصري الأصيل يتعامل مع الحيوان بالرفق ويغني له .

من أين تعلم المصري كيف يستأنس هذه الحيوانات ؟ وكيف يستخدمها؟ وكيف يتعامل معها هذا التعامل الراقي ؟ إن لم يكن هناك أنبياء علموه وشرائع سماوية تمسك بتعاليمها ، ولقد جاءت شريعة الإسلام بتمام ذلك .

لقد عرف المصري القديم أنواع الأحجار المختلفة ، واستخدمها في البناء فعرف أحجار البرشيما الخضراء والحمراء وحجر الديوريت والدولوميت والصوان ، واستعمل الجبس ، وحجر الشست والأردواز .

وعرف أحجار الزينة : العقيق الأحمر والأبيض ، والزمرد المصري الأخضر ، والمرجان الأحمر والأبيض ، واللؤلؤ والفيروز ..

وعندما كان قدماء المصريون يقطعون الحجارة من الجبال لبناء المعابد أو غيرها كانوا " يسجلون عليها مكان الشمال الجغرافي ؛ لأن هذه القطعة الحجرية قد عاشت منذ لحظة تكوينها داخل مجال مغناطيسي محدد وتأقلمت عليه ، وكان القدماء يدركون ذلك ويضعون الأحجار في نفس الزوايا التي كانت عليها في الجبل الأصلي قبل قطعها " [2]

([1]) أحمد حسين " موسوعة تاريخ مصر " ج١ص٦٢ دار الشعب

([2]) د. إبراهيم كريم في حوار معه أجرته مجلة أكتوبر ونشر في العدد ١١٦٨ الأحد ١٤ مارس ١٩٩٩ ص ٥٠.

ما هذا العلم العجيب !! إن العلمانية الغربية التي وصلت إلى درجة عالية من التقدم لم تفطن لهذا ! ولم تطبقه حتى جاء من حفدة الفراعنة من علمها هذا .

من علم المصريين طبيعة الحيوان ، وطير ، والنبات ، والجماد أمم أمثالنا تسبح وتخشع .

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام : ٣٨]

يذكر القرآن الكريم أن الحجر يخشى الله ، ويخشع له ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّه ﴾ [البقرة : ٢١]

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر : ٢١]

من علَّم المصريين القدماء طبيعة الحجارة ؟ أليس خالقها ؟

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن : ١]

كما عرف المعادن : النحاس والذهب والحديد والقصدير والفضة والرصاص والبرونز ... عرف كل ذلك وغيره من أكثر من سبعة آلاف سنة (٥٦١٩ ق. م)

كما عرف المصريون القدماء النقود أيضاً .

واستعمل المصري القديم المقاييس : الزراع والشبر والقصبة والقيراط ، واستعمل الأرقام في الحساب بكل علاماته منذ فجر التاريخ .

كما عرف علم الفلك وكان في عين شمس كاهن خاص لمراقبة سير الشمس ، وفي المعابد جماعات لمراقبة سير النجوم . وتقسيم السنة إلى شهور قمرية كل منها ثلاثون يوما أكبر دليل على معرفة تامة بمنازل القمر. واليوم ينقسم إلى أربع وعشرين ساعة، واستخدم المصري القديم " المزولة " لمعرفة الساعة نهاراً ، والنجوم معرفها ليلاً ، كما عرف الساعة المائية .

هل نصدق معجزات الأنبياء إن لم تذكر في الدين ؟!

وإن المرء ليعجب أن ينسب العلماء لامحوتب الألوهية وينفوا عنه النبوَّة ، نعم إن ما عجز العلماء عن تفسيره في منجزات الحضارة المصرية القديمة إنما هو من ثمار العلوم المقدَّسة التي أوحى الله تعالى به لرسله ليعلموها أقوامهم أو من معجزات السماء التي أيَّد الله تعالى بها أنبياءه ورسله ، كما خلق عيسى من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيراً بإذن الله ، وأبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله .

﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ٤٩]

ترى ولو لم يخبرنا الله تعالى بمعجزات عيسى عليه السلام هل كنا سنصدق بها إن قرأناها في مخطوطات قديمة كتبها مَن شاهد هذه المعجزات ؟!

هل كنا سنصدق أن بشراً يصنع هذا ؟

في الغالب كنا سنسارع في تكذيب هذه الروايات لأنها تتعارض مع عقيدة التوحيد التي تؤكد أن الله هو الذي يحيي ويميت ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي

فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء : ٧٨ – ٨١]

ولا يفكر واحد منا أن يجعل هذه العجائب معجزات أيَّد الله تعالى بها أنبياءه ورسله ، والفرق بين معجزات الأنبياء التي أخبرنا الله تعلى بها ومعجزات الحضارة المصرية القديمة أن معجزات الأنبياء لا دليل عليها إلا إخبار القرآن الكريم بها ، بعكس معجزات الحضارة المصرية التي مازالت قائمة تتحدى أن يأتي أحد بمثلها أو حتى يفك لغزها إنه تحدي من الله تعالى لكل البشر كما تحداهم بأن يأتوا بسورة من القرآن ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨]

والحقيقة أن آدم هو أول البشر وهو أول نبي مرسل ، فالله العلي القدير لم يخلق الناس عبثا ولم يتركهم سدى .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون : ١١٥]

أي مهملين لا ثواب لكم ولا عقاب عليكم .

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة: ٣٦]

لقد أمر الله تعالى الإنسان بعبادته وحده لا شريك له .

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦]

لذا أرسل في كل أمة رسولاً بالدين الحق يبشر به من آمن بالله بالجنة، ورضوان من الله ، وينذر من كفر بالنار وغضب الجبار .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾

[فاطر : ٣٤]

﴿ مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ١٥]

ولقد كلَّف الله تعالى الناس بمهمتين هما : إخلاص العبادة لله وفق ما شرع وتعمير كونه بالعلم النافع والعمل الصالح .

﴿اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود : ٦١]

وكما أرسل الله تعالى الأنبياء بشريعة تعلم الناس كيفية عبادة الله تعالى ، أرسل الأنبياء بالعلوم المقدسة التي تعلم الناس كيف يعمرون الأرض .

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ [البقرة : ٣١]

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٤، ٥]

فالله تعالى مصدر كل علم نافع عرفه البشر فعلم آدم الأسماء كلها ، علمه أسماء الذوات ، وأفعالها ،مكبرها ومصغرها ،كما أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما "[١]

وعلَّم الله تعالى إدريس عليه السلام – نبي المصريين وأوَّل الأنبياء والرسل بعد آدم – الكتابة بالقلم ، وحياكة الثياب ، وعلم النجوم ، والحساب وغيرها مما كان سبباً في النشأة الحضارة المصرية كاملة متطورة .

أما عن كون إدريس أوَّل وأقدم الأنبياء فدونك هذه الشذرات أقوال كبار العلماء والمفسرين :

([١]) ابن كثير البداية والنهاية المجلد الأول ص ٧٨

يقول ابن خلدون في مقدمته : " إدريس هو أقدم الأنبياء . "

ويقول القرطبي في تفسيره : " كان إدريس أوَّل من أُعْطي النبوَّة . "

ويقول ابن سعد في طبقاته " إدريس أوَّل من أُعْطي النبوة من ولد آدم "

يقول الإمام القرطبي : " إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط ، وأول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها. وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى. وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة " (١)

وأما عن كون إدريس مصري ، ومرسل من الله إلى المصريين فدونك شذرات من أقوال العلماء في ذلك :

يقول القرماني في " إخبار العلماء بأخبار الحكماء " : " إدريس عليه السلام كان نبيّاً عظيماً وقد ولد بمصر " .

وفي دائرة معارف البستاني : " وأمَّا ترجمة إدريس على قول العرب فهي أنه كان نبيّاً عظيما ولد بمصر " .

ويقول الألوسي في تفسيره " روح المعاني " "وكان إدريس قد ولد بمصر"

ويذكر ابن إياس في " بدائع الزهور " تحت عنوان " ذكر من كان بمصر من الحكماء في أوَّل الدهر " : " قال الكندي : كان بمصر من الحكماء إدريس وقد جمع بين النبوَّة والحكمة . " (٢)

وحتى العلماء والمؤرخون الذين ذكروا أن إدريس ولد ونشأ في بابل ذكروا أنه هاجر إلى مصر ونشر فيها دين الله وعلومه المقدسة .

---

(١) تفسير القرطبي لقوله تعالى ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيّاً ﴾
(٢) نقلاً عن د. نديم السيار " قدماء المصريين أوَّل الموحدين " ص ١٨٧ .

يقول الشيخ عبد الوهَّاب النجَّار في " قصص الأنبياء " : " اخْتُلف في مولد إدريس ونشئه فقالت فرقة : ولد بمصر وسمُّوه هرمس الهرامسة ومولده بمنف وهو عند العبرانيين خنوخ وعُرِّب أخنوخ ... وقالت فرقة أخرى إن إدريس وُلد ببابل وبها نشأ ولما كبر إدريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث فأطاعه أقلهم وخالفه جُلُّهم فنوى الرحيل عنهم وأمر من أطاعه منه بذلك .

وأقام إدريس ومن آمن معه بمصر يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل ، وتكلم الناس في أيامه باثنين وسبعين لساناً وعلَّمه الله تعالى منطقهم ليُعَلِّم كل فرقة منهم بلسانهم ، ورسم لهم تمدين المدن ، وجمع الله له طالبي العلم بكل مدينة فعرَّفهم السياسة المدنية وقرر لهم قواعدها فبنت كل فرقة من الأمم مدناً في أرضها فكانت عدَّة المدن التي أُنْشئت في زمانه مائة مدينة وثمانياً وثمانين أصغرها الرها . وعلَّمهم العلوم . وهو أوَّل من استخرج الحكمة وعلم النجوم فإن الله عز وجل أفهمه أسرار الفَلَك وتركيبه ونقط اجتماع الكواكب فيه وأفهمه عدد السنين والحساب ولولا ذلك لم تصل الخواطر باستقرائها إلى ذلك ، وأقام للأمم سُنناً في كل إقليم سُنَّة (طريقة أو منهج) تليق بأهلها ، وقسَّم الأرض أربعة أرباع على كل ربع ملكاً يسوس أمر المعمور من ذلك الربع وتقدم إلى كل ملك بأن يلزم أهل كل ربع بشريعة الله التي تتمثل في توحيد الله وعبادته وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا ... ووعد أهل ملَّته بأنبياء عدة يأتون من بعده ، وعرَّفهم صفة النبي فقال : يكون بريئاً من المذمَّات والآفات كلها كاملاً في الفضائل الممدوحات لا يقصِّر عن

مسألة يُسأل عنها مما في الأرض والسماء ومما فيه دواء وشفاء من كل ألم ، وأن يكون مذهبه ودعوته المذهب الذي يصلح به العالَم . "[١]

إذن كانت نشأة الحضارة المصرية القديمة نشأة دينية ، وأن أول علوم عرفها البشر علوم ربانية ، وإنجازات المصريون القدماء الباهرة هي معجزات نبوية .

وهذا ما تؤكده الدراسة المتأنية لتاريخ هذه الحضارات ، وآثارها الخالدة، ونصوص الدين المعجزة .

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨ ،٣٩]

بم وحد مينا القطرين ؟

يقول ول ديورانت : " قبل أن يحل عام ٤٠٠٠ ق. م كان هؤلاء الأقوام الذين يقيمون على ضفاف النيل قد أنشئوا لهم حكومة من نوع ما. فقد انقسم الأهلون المقيمون على شاطئ النهر أقساما ينتسب سكان كل قسم منها إلى أصل واحد. وكان لهم شعار واحد . "[٢]

وما إن يأتي " مينا " موحِّد القطرين بتوحيد العقيدة التي أوحى الله تعالى به إليه حتى يبدأ تاريخ المنجزات الحضارية الخالدة .

{ ضم " مينا " القطرين تحت سلطانه الموحد، وأعلن في البلاد قانوناً عاماً أوحى إليه به الإله نوت (إله السماء) أقام أولى الأسر المالكة التاريخية، وشاد عاصمة جديدة لملكه في منف وعلَّم الناس وأدخل في البلاد وسائل النعيم والحياة المترفة}[٣]

---

(١) الشيخ عبد الوهاب النجار " قصص الأنبياء " دار التراث ص ٤٠ ، ٤١ .
(٢) ول ديورانت " قصة الحضارة " مرجع سابق ص ٢٦٥
(٣) نفسه ص ٢٦٥

فالملك " مينا " كان نبيّاً يوحى إليه من الله إله السماء " ودعا الناس إلى نبذ آلهتهم المحلية ومعبوداتهم ، والدخول في عقيدة إله التوحيد إله السماء ، لقد وجدت دعوته استجابة سريعة وبغير حرب في أقاليم الدلتا التي كانت تناصب أقاليم الصعيد العداء . " (١)

لقد رمز الملك " مينا " لدعوته بالصقر المقدس (حامل رسالة التوحيد) وهو يحمل فوق رأسه قرص الشمس أي خضوعه للإله " رع " .. فتحقق له توحيد الوادي بتوحيد.(٢)

أيمحوتب إله أم نبي ؟

لقد استمرت عقيدة التوحيد بعد موت مينا ما يقرب من مائتي سنة أي إلى أواخر الأسرة الأولى ، ثم تفككت عقيدة التوحيد بنهاية الأسرة الأولى وعادت مختلف الآلهة والمعبودات تحتل مكانها في المعابد ، وكانت أول محاولة لتوحيد العقيدة التي بدأ ظهورها في منف في الأسرة الثالثة والتي بدأ يخطط لها العالم والحكيم والمهندس والطبيب " ايمحوتب " مستشار الملك زوسر بعد دراسته لعلوم اللاهوت والمعرفة بمعبد هليوبوليس " حصن العقيدة " وكان يعد أحد كهنتها المبجلين . (٣)

والحقيقة إن ايمحوتب ما كان إلا نبيّاً من أنبياء الله وقد وجدت وثائق تؤكد هذا منها نص في معبده بـ " إدفو " يصف ايمحوتب بأنه الكاهن الأكبر ابن بتاح الذي يتحدث أو يحاضر " (٤)

وهناك نص آخر يقول : " إن سيد البنائين ايمحوتب ابن بتاح إله منف العظيم "(١)

---

(١) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " مرجع سابق ص ٧٢
(٢) نفسه . ص ٧٢
(٣) ج. هاري " ايمحوتب ، إله الطب والهندسة " ترجمة محمد العزب موسى ص ٣٠
(٤) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " مرجع سابق ص ٧٢

معنى ابن الله عند المصريين القدماء

ولقب ايمحوتب بأنه الإله "ابن بتاح" يعني عبد الله ورسوله فالبنوة هنا بنوة مجازية ولقد استخدمت بهذا المعنى في التوراة والإنجيل .

" قال الرب لموسى حالما ترجع لمصر .. قل لفرعون هذا ما قاله الرب : إسرائيل هو ابني البكر " (الخروج:٤)

" إني أب لإسرائيل وأفرايم بكري "(إرميا:٣١)

ويقول الرب لداود " إني أقيم بعدك من نسلك الذي يخرج من صلبك من أُثَبِّتُ مملكته هو يبني بيتا لاسمي ، وأنا أثبت عرش مملكته إلى الأبد . أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا " (صموئيل الثاني : ٧)

فألفاظ مثل " أبناء الله ، ابن الله ، و ابني البكر .." في اللغة العبرية تعني الأنبياء والرسل أو الصالحين أو المؤمنين الحقيقيين من خلق الله.

ولقد وردت في الأناجيل بهذا المعنى كثيراً مثل : " آدم ابن الله " (لوقا:٣)

" طوبى لصانعي السلام فإنهم سيدعون أبناء الله " (متى : ه)

إذن عندما تقول الوثائق المصرية " ايمحوتب ابن بتاح إله " فإنها تعني أن ايمحوتب نبي الله المُعظَّم .

ويؤكد د. سيد كريم هذا فيقول : " ذكر المؤرخ مانيتون أن الرسالة التي قام بها ايمحوتب في مختلف عناصر المعرفة من اللاهوت إلى العلوم والطب والهندسة وفن البناء هي التي جعلت المصريين يؤلهونه بعد وفاته بعدة قرون وأطلقوا عليه في الأسرة ٢٦ أي بعد ألفي سنة من وفاته لقب " ابن بتاح " إله الخلق وبنوا له الكثير من المعابد في منف والصعيد والنوبة كأحد الرسل الذين نادوا بالتوحيد . "[٢]

([١]) نفسه ص ٧٢

([٢]) نفسه ص ٧٣

وقد توصل المصريون في بداية الأسرة الرابعة في عهد الملك سنفرو إلى المعرفة التامة بالوحدانية بما تصوروه من النظام الإداري الخلقي العظيم . وقد وصل فعلاً إلى ذلك رجال اللاهوت .

والفلاسفة الذين أتوا بعد ذلك العصر ، وما ورد في كتاب الموتى ومتون الأهرام معاً وضع أسس الكثير من الشرائع التي وردت في الأديان السماوية وقد نسب الفراعنة جميع القوانين الإدارية والنظام الاجتماعي والتشريعات إلى أنها منزلة من الإله " رع " فكان لا يسمح للملك نفسه بالتدخل في تعديل القوانين أو أحكام القضاء، ورغم أنه هو الذي كان يحملها للشعب والدولة .

وتصف متون الأهرام " رع " بأنه الإله الواحد عرشه الأفق غير المحدود، وخرج هيكل تكوين الخلق " بن بن " (الهرم) رمز الإله الذي تعبر واجهاته المثلثة عن القوى الثلاثية للإله وقاعدته المربعة ترمز إلى أركان الدنيا الأربعة ، وتشير قمته إلى عرش الإله في السماء .

لقد خرج الشكل ذلك الهرمي من بين جدران معبد هليوبوليس ليبني الأهرام على اختلاف أنواعها كرمز لتوحيد الإله ، ثم انتقلت إلى المسلات أو تطور ارتفاع القاعدة التي تحمل الهرم المقدس قمة المسلة ، لذا وصفوا المسلات بأصبع الإيمان التي تشير إلى رع إله الشمس والمتربع على عرش السماء وإصبع العقيدة المرفوع لرمز وحدانية الإله(١)

سر بناء الهرم الأكبر

إن العجب ليأخذ المرء كيف يتخبط المؤرخون كل هذا التخبط في تفسير الحضارة المصرية القديمة ، ولا يهتدوا إلى التفسير الديني الذي

(١) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " مرجع سابق ص ٧٤

جاء في كل الأديان والذي ينص على أن الله تعالى أرسل رسلاً لهداية البشر ، وأيَّد هؤلاء الرسل بمعجزات يعجز عن الإتيان بها بشر ، كيف يقبل هؤلاء المؤرخون بأن يؤله ايمحوتب ، ولا يسلمون بنبوته؟! كيف يذهب المؤرخون في بناء الهرم الأكبر كل مذهب ممكن أو غير ممكن ولا يخطر ببالهم أنه معجزة من الله تعالى أيَّد بها نبيه ايمحوتب وتحدى بها البشر قديماً وحديثا أن يأتوا بمثلها أو حتى يعرفوا سرها .

يقول علماء المصريات : " في غضون فترة وجيزة لا يصدقها عقل تعلَّم المصريون كيف ينقلون أضخم حجارة عرفها تاريخ العمارة بأسره . ويشيدون أهراماتهم التي تسلب الألباب ، ولا يفصل حكم الفرعون زوسر الذي شيد مصطبة سقارة المدرجة التي تعد أقدم بناء أثري بالحجر في التاريخ ، عن فترة حكم بناة أهرام الجيزة الكبرى سوى خمسين عاماً ، انصرف خلالها المصريون عن استخدام الطوب وصاروا أساتذة في استخدام الحجر الطبيعي الذي لم يشهد له العالم مثيلاً من قبل ومن بعد . وفي فترة تقل عن مائة عام ارتفعت عقيدة الفرعون الإله من مستوى الصحراء ومن القبور المسطحة البسيطة إلى بناء زوسر الذي يعد معجزة وهرم خوفو الذي بلغ القمة والذي يصل ارتفاعه نحو خمسمائة قدم . تلك الأهرام التي أخذ حجمها يتضاءل بعد ذلك "[١]

الهرم الأكبر مقبرة أم مرصد ؟

لقد أطلق مؤرخو الإغريق على الهرم الأكبر عند زيارتهم لمصر وأرض الأهرام اسم بيراميدس الذي تحول " بيراميد " في مختلف اللغات ومعناه " هرم " .

---

(١) د. إيفار ليسنر " الماضي الحي " ترجمة شاكر إبراهيم سعيد ص ٥٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب

لكن ما هو الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء بناة الأهرام على الهرم الأكبر ؟

ورد في جميع وثائق عصر الأهرام أن اسم " بن بن " معناه هرم ، وأطلق المصريون على كل هرم من الأهرام التي أقاموها وصفاً يدل على الغرض من إنشائه:

أطلقوا على هرم الملك خفرع اسم برام موت .. أي مرقد الموميا .

وأطلقوا على هرم الملك منقرع اسم برام ميت ..أي مسكن الروح .

كما أطلقوا على هرم زوسر اسم براخت مر .. أي أفق الصعود المنير .

أما الهرم الأكبر فقد أطلقوا عليه برامس وهو الاسم الذي حرفه الإغريق إلى بيراميدس عندما نقلوه بالسمع عن طريق المترجمين . وأطلق اسم بيراميد على جميع الأهرام في تاريخ الحضارة المصرية فأطلقوا على كل هرم اسم بيراميد وبالكشف عن معنى " بيرامس " في اللغة المصرية القديمة وجدناها تعنى المرصد وقد ورد اسم برامس في وثائق وبرديات كتب العقيدة بوصفه نافذة مخاطبة السماء.

وبذلك كشف اسم الهرم الأكبر وهو " البرامس " (أي المرصد الأكبر) لغز الهرم الأكبر .

وبالبحث عن تاريخ بناء المرصد ومن قام ببنائه .

كشفت وثائق تاريخ رسالات التوحيد التي نزلت على أرض مصر إن الرسول ايمحوتب الذي حمل رسالة التوحيد الثالثة من معبد " أونو " إلى معبد منف زوده الإله بمعجزات خلق علوم المعرفة المقدسة وهي علوم الطب والرياضيات والفنون وفي مقدمتها رسالة البناء بالحجر وأطلق ايمحوتب على البناء بالحجر اسم عمارة الخلود .. التي يتخذها لبناء

بيوت أمره ببنائها وهي " البرامس " (الهرم الأكبر) مرصد مخاطبة السماء وتلقي تعاليم الرسالة .

وهرم سقارة (سلالم الصعود إلى عرش الإله) بدرجاته الستة التي تعبر عن أيام الخلق الستة والمصطبة السابعة التي كانت تحمل كرسي العرش في المناسبات الدينية . والصرح الثالث كعبة العقيدة (هرم ميدوم) مركز حلقة البعث (الطواف) وقد أقام ايمحوتب البرامس العظيم (الهرم الأكبر) عندما حمل رسالة التوحيد إلى منف عام ٣٠٠٣ ق.م (الأسرة الرابعة) ()

إن الأسرار التي تحيط بمرصد ايمحوتب (الهرم الأكبر) وفي مقدمتها طريقة بناء الأهرام التي وضع ايمحوتب نظريات إنشائها بالمعادلات الرياضية وعلوم الفلك والطاقات الكونية وهناك العديد من نواحي الإعجاز التي وردت في وثائق ايمحوتب المرتبطة بإقامة المرصد وعندما فشل العلماء والخبراء في تفسيرها نسبوها إلى أعمال السحر .

ويحاول كثير من علماء عصر التكنولوجيا الحديث تفسير تلك الأسرار بترجمة كلمة سحر تكنولوجيا وقد توصل البعض أخيراً في تفسير تلك الألغاز من بين تلك الألغاز ما ورد في تحديد موقع المرصد أن ايمحوتب أمر أن يقيم المرصد في " قلب الكون " أسوة بمرصد أونو (عين شمس) الذي أمر الإله إقامته في " قلب مصر " أرض الإله .

فسر علماء الفلك والرياضيات في العصر الحديث معنى " قلب الكون " بأنه مركز ثقل الكرة الأرضية الذي أمكن تحديده عند تقاطع خطي

---

(١) د. سيد كريم " لغز الهرم الأكبر" نهضة مصر للطباعة والنشر ص ٤

طول وعرض ٣٠ وهو مركز تقابل القارات الخمسة . وكانت المفاجأة التي أُعْلنت عالمياً أن الهرم الأكبر أو المرصد الذي أقامه ايمحوتب يقع بدقة متناهية عند نقطة تقابل خطي ٣٠ الطولي والعرضي . (١)

طريقة بناء الهرم

إن جميع النظريات التي تفتق عنها ذهن العلماء والمؤرخين والكتاب عن طريقة بناء الأهرام والطرق والوسائل التي اتبعها القدماء في بنائها ثبت فشلها جميعاً وابتعدت عن الحقيقة. سواء الممرات الرملية البسيطة الانحدار والتي قد وصل طولها إلى عدة كيلو مترات للوصول إلى القمة الهرمية . واستعمال الزحافات التي تنقل عليها الأحجار والتي يصل وزن بعضها إلى ما يزيد عن الخمسين طناً أي وزن قاطرات السكة الحديدية ومحاولة جر الزحافات التي تحملها والتي تحتاج الواحدة منها إلى مئات العمال فسرعان ما تهبط الزحافة بحمولتها في عمق الممر الرملي كما أن وصف البعض الآخر بأن الممرات الرملية كانت تكسى بطبقة مصقولة من الأحجار الرملية الصلبة فقد ثبت عملياً أن الزحافة سوف تحترق بالاحتكاك حتى ولو كان وزن حمولتها لا يزيد عن طن واحد وليس ٧٥ طناً .

هذا بصرف النظر عن صلابة الحبال التي كانت تستعمل في الجر ولا توجد اليوم رغم التقدم التكنولوجي والآلي رافعات آلية يمكنها رفع أحد تلك الصخور الضخمة والثقيلة إلى ارتفاع يصل إلى مائة متر أي بارتفاع أبراج ناطحات السحاب .

وقد وصف أحد قدماء المؤرخين بان قدماء المصريين كانوا يستعملون السحر في بناء المعابد ونقل الأحجار الضخمة وتثبيتها في مواضعها من المبنى ورفع الأعمدة وإقامتها في مواضعها وأماكنها .

---

(١) نفسه ص ٧

برديتان ألقتا ضوءاً على تفسير السحر بالتكنولوجيا فقد وصفت البردية الأولى التي وجدت في مقبرة أحد مهندسي الدولة الوسطى بالكرنك مؤهلات صاحبها بأنه كان كبير مهندسي المعبد ووصف بأنه كانت عنده القدرة الخارقة في رفع أضخم الأحجار والأعمدة ونقلها في المبنى بغير مجهود أو الاستعانة بأي قوى بشرية عاملة .

والبردية الثانية المحفوظة بمتحف اللوفر ترجع إلى الدولة القديمة في حفريات منطقة سقارة . ويصف صاحبها أنه شاهد الكاهن الساحر بالمعبد يعاون العمال في نقل الأحجار الضخمة بقراءة التعاويذ السحرية الخاصة على الحجر وهو يحمل صندوق أوزوريس ، ثم يأمر العمال بدفع الحجر فيتحرك بغير مجهود على مسافة ثلاثين ذراعاً ثم يعاود التعويذة والطقوس السحرية ويستمر العمال في تحريك الحجر حتى يصلوا به إلى موقعه في المبنى .

من المرجح أن الكاهن الساحر في تلك البردية هو " ايمحوتب " نفسه رسول التوحيد الذي وصف بأنه الساحر الأكبر لمعبد منف بالدولة القديمة والذي أشاد المؤرخون بأعماله السحرية في الطب ولعلاج فاتخذ منه الإغريق إلهاً للطب عندهم وقاموا مع المصريين بتقديسه بما يزيد على سبعة قرون بعد وفاته . كما اتخذ منه المهندسون في مصر رباً للهندسة عندما كان أول من استخدم الحجر في البناء في حضارة مصر وتاريخ الحضارات وكان أول من بنى الأهرام ومختلف نظريات العمارة بالحجر . ونقل عنه الإغريق طرق البناء بالحجر فوضعوا ما أطلق عليه " قواعد العمارة الحديثة " التي بدأت باستعمال الأعمدة في العمارة ابتداءً من العمود الدوريكي الذي كان ايمحوتب أول من ابتكر شكله عند إنشاء الهرم المدرج قبل ظهوره عند الإغريق بألفي عام كما كان

أول من ابتكر شكل تيجان الأعمدة وقواعدها التي نقلتها عنه عمارة جميع الحضارات العالمية . كما وصف المؤرخون ايمحوتب بأنه كان ساحر الفَلَك الذي يخاطب القبة السماوية ويستمد منه علوم المعرفة ومختلف النظريات الرياضية التي استعملها في بناء الأهرام .

أي أنه بالسحر أمكنه التوصل إلى أسرار علوم المعرفة ومعجزاتها وخفاياها !! وكما يقول هوميروس " إن المصريين القدماء استمدوا علوم المعرفة التي بنوا بها حضارتهم من السحر الذي أتقن سحرتهم تسخيره لخدمة أغراضهم "

ويقول سولون عند زيارته لمعبد أون " حصن المعرفة المقدسة " أن كهنته احتفظوا بأسرار علوم الحضارة حتى لا تخرج من حدود أرضهم فأطلقوا على أسرار العلوم ومعجزات نتائجها المبهرة كلمة السحر .

سحر أم تكنولوجيا ؟

الحقيقة تكمن فيما وصفه أحد علماء متحف برلين الذي اهتم بدراسات برديات السحر الموجودة بالمتحف فتوَّج أبحاثه بقوله إذا حاولنا أن نزيح الستار عن حضارة مصر الفرعونية التي لم يصل إلينا منها إلا القليل إلى اليوم فما علينا إلا أن نترجم كلمة " سحر " إلى تكنولوجيا .

إن أية حضارة في العالم إلى يومنا هذا كانت مقومات قيامها تتركز على نوعية القوى المحركة لها والطاقة التي تحكمها وتحركها كالنار والبخار والكهرباء والإشعاعات بأنواعها التي يمكن التحكم فيها سلكيا أو لا سلكياً والتي انتقلت إلى الأقمار الصناعية ومختلف عناصر الطاقة المسيطرة عليها . وكان لكل منها دور فعال في انتقال الحضارة من مرحلة إلى مرحلة.

بدراسة برديات السحر المصري القديم من ذلك المنطق وفي إطار ذلك المنطق وجدناها ترمز وتعبر عن معادلات تكنولوجية عميقة ودقيقة

تؤكد أن قدماء المصريين منذ بدء الحضارة قد توصلوا إلى السيطرة على الكثير من القوى الكونية واستغلال طاقاتها في تحقيق الكثير من أغراضهم العلمية والعملية . كالطاقة الشمسية ومختلف أنواع الإشاعات والذبذبات ومجالاتها المستمدة من القوى الكونية والسيطرة عليها بدء باستعمال البندول والإبر الصينية والطب الروحاني والتي تفسر ما توصلوا إليه من إعجاز في الطب والجراحة وخاصة في عمليات جراحة المخ التي قاموا بها وكشفت عن تفاصيلها أكثر من مميـاء من المومياوات المحفوظة بالمتاحف العالمية والتي وصفها أحد اكبر الجراحين في مؤتمر جراحة لمخ الذي انعقد أخيرا بأمريكا بأنها لا تختلف عن آخر ما توصل إليه العلم الحديث في عمليات جراحة المخ أكد أن تلك العمليات لا يمكن إجراؤها بدون الاستعانة بأحدث الأجهزة الإلكترونية ومختلف أنواع الأشعة الملازمة لها وخاصة الأشعة الملونة.

لقد لعب شحن الأجسام بالإشعاعات دورا هاما في التحنيط وكشف ناحية من نواحي أسراره الغامضة فقد توصلت الأبحاث التي قام بها الدكتور إبراهيم كريم الخبير في علم البندول بتعاونه مع المعاهد الفرنسية المتخصصة في اكتشاف علاقة التحنيط بالإشعاعات الكونية ووجود إشعاعات صادرة من بعض المومياوات المحفوظة بالمتحف المصري وفي بعض المومياوات التي تم اكتشافها حديثا في حفريات المقابر والتي وجدناها لازالت تحتفظ بشحنات الأشعة الخضراء مما يثبت أن الفراعنة قد مارسوا عملية شحن الجثث بشحنات الأشعة الخضراء مما يثبت أن الفراعنة قد مارسوا عملية شحن الجثث بالأشعة الخضراء لحفظها من التحلل ولقتل البكتيريا التي تعمل على سرعة

تحللها فشحن المومياوات بالإشعاعات كان لها دور أساسي في عملية التحنيط وكشف سراً هاما من أسراره . (١)

لعنة الفراعنة

إن لعنة الفراعنة التي أثارت جدلاً بين علماء الآثار والكتاب خلال عدة قرون ، وأجمعوا على نسبتها إلى " السحر " ما هي في الواقع إلا شحن بعض المومياوات التي تسببت في اللعنة بأشعة الموت الخضراء – القاتلة التي تعمل على إصابة من يلمسها أو يقترب منها – كما كانت تشحن بنفس الطريقة بعض متعلقات المومياء من أدوات منزلية أو أدوات الزينة والمصاغ أو التمائم وأقربها ما حدث لسارقي بعض متعلقات توت عنخ أمون وسارقي بعض المومياوات التي اضطر المحتفظون بها إلى إعادتها إلى أماكنها الأصلية أو التخلص منها تخلصاً من اللعنة أو لعنة الفراعنة .

تحتوي المؤلفات التي وضعت عن لعنة الفراعنة – العديد من القصص الأسطورية والتي لا تختلف في نتائجها عن أثر تلك المسروقات على حامليها في إصابة أصحابها بنوع من التسمم الغامض .. ونسبوه إلى سحر الفراعنة .

وقد أعلن بعض الخبراء المصريين أنهم تمكنوا من تسجيل إشعاعات نووية صادرة من بعض الأجسام أثناء مرورهم بقياس الأشعة في قاعة المومياوات بالمتحف المصري . (٢)

بناء الهرم الأكبر والسحرة

أما ما قيل بأن الهرم الأكبر (بيت الله) شاهد على حياة السخرة والعبودية التي كان يحياها المصريون فهذا محض افتراء ؛ ومن يقول

(١) د. سيد كريم " لغز الهرم الأكبر" نهضة مصر للطباعة والنشر ص ٢٠– ٢٣
(٢) نفسه ص ٢٤

بهذا الرأي إنما يريد السير وراء اليهود وتوراتهم التي تصف بناء سليمان للهيكل كان عن طريق تسخير الأمم من غير بني إسرائيل وتعبيدهم .

وسخَّر الملك سليمان مائة وثلاثة وثمانين ألفا وثلاثمائة رجل من أرجاء إسرائيل لبناء الهيكل وهم على النحو التالي : ثلاثون ألف رجل لإحضار الخشب من لبنان ، و" سبعون ألفا من حمَّالي الخشب وثمانون ألفا من قاطعي الحجارة في الجبل ، ما عدا ثلاثة آلف وثلاث مئة من المشرفين على هؤلاء العمال " (ملوك الأول : ٥)

بعد أن أتمَّ سليمان بناء " كل ما رغب فيه في أورشليم وفي لبنان وفي جميع أرجاء سلطنته . أما من تبقى من الأموريين والحثِّيين والفَرِزِّيِّين و الحِوِّيِّين واليَبُوسيين الذين لا ينتمون إلى بيني إسرائيل ، من ذَرَاري الأمم التي عجز الإسرائيليون عن إفنائهم ، فقد فرض عليهم سليمان خدمة التسخِير كالعبيد إلى هذا اليوم . أما أبناء إسرائيل فلم يُسخِّر سليمان منهم أحداً ، لأن منهم كان يتألف جنوده ورجال حاشيته وأمراؤه وضباطه قادة مركباته وفرسانه ، وكان عدد المُوَكَّلِين على الإشراف على خدمة العُمال المُسخَّرين لتنفيذ أعمال سليمان خمس مئة وخمسين رجلاً " (ملوك الأول : ٩)

ويكذب القرآن الكريم هذه الرواية ويبين في جلاء أن الذي بنى له أعماله كان الجن الذي سخره الله تعالى له فهم الذين يعملون له ما يشاء من تماثيل ومبان .

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ

كَـالْجَوَابِ وَقُـدُورٍ رَّاسِـيَاتٍ اعْمَلُـوا آلَ دَاوُودَ شُـكْرًا وَقَلِيـلٌ مِّـنْ عِبَـادِيَ الشَّكُورُ ﴾[سبأ: ١٢ ، ١٣]

جاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى : ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ أي وسخرنا له الجن يعملون بين يديه {بإذن ربه} أي بقدره وتسخيره لهم بمشيئته، ما يشاء من البنايات وغير ذلك ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ أي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة {نذقه من عذاب السعير} وهو الحريق، وقوله تعالى: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل﴾ أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف شيء في المسكن وصدره، وقال مجاهد: المحاريب بنيان دون القصور، وقال الضحاك: هي المساجد، وقال قتادة: هي القصور والمساجد " .

أما عن حال المصريين الذين بنوا الهرم فالوضع مختلف لأن بناء الأهرام وغيرها من دور العبادة أُطلق عليها في كتاب التوحيد صفة بيوت الإله وتبعاً للقواعد التي أرسى ايمحوتب تعاليمها ونسبها إلى متون العقيدة أن المساهمة في إقامة تلك البيوت نوع من أنواع العبادة وكان من أركانها إما بالمساهمة بالمال أو العمل في تشييد أو تقديم القرابين والذبائح التي كانت تصرف كتموين وإعاشة للعمال . (١)

فكان العمال والفلاحون يتسابقون طواعية في العمل على قطع الأحجار من المحاجر ونقلها والاشتراك في أعمال البناء تقُرباً للإله الذي يساهمون في بناء بيته.

وقد ذكر بعض مؤرخي عصر الأهرام أن العمل في بناء الهرم الأكبر كان يتوقف في مواسم الحصاد والري والزراعة وكان الفلاحون ينسبون

---

(١) د. سيد كريم " لغز الهرم الأكبر" مرجع سابق ص ٣١

وفرة المحصول في موسم الحصاد إلى إرضاء الإله عما قاموا به نحوه من بواجب العمل في بناء صرحه .

وقبل البدء في بناء الهرم الأكبر قامت الحكومة ببناء مدينة للعمال والفنيين وسوقاً للتموين ومخبزاً ومخازن حفظ القمح وهي تعتبر مدينة عمال بناء الأهرام أول مدينة في تاريخ العمارة وتخطيط المدن تبني بطريقة الإسكان الجاهز أو سابق التجهيز حيث تم توحيد نماذج تصميم المساكن لمختلف طبقات العمال والفنيين بتوحيد الأبعاد القياسية للمساكن وتحديد نماذج الأبواب والشبابيك ووحدات الأسقف وغير ذلك من مختلف وحدات إنشاء المبنى التي يسهل تركيبها عند إقامتها وفكها عند قضاء مهمتها.

وعند الانتهاء من بناء الهرم كوفئ العامل بالتصريح لهم بفك أجزاء مساكنهم السابقة التجهيز ونقلها لإعادة بناء مساكنهم في قراهم وهو ما وصفه مؤرخو عصر الأهرامات بنهضة تعمير القرى وأعياد بنائها وكان العمال يعتبرون تلك البيوت هبة من الإله جزاء مشاركتهم في بناء بيته . فالهرم الأكبر بني :

بعقيدة الإيمان .. لا بالسخرة .

بني كمعبد للإله ومرصد لمخاطبة السماء .. لا مقبرة للموتى .

بني بعلوم المعرفة المتقدمة والتكنولوجيا .. لا بالتعاويذ والسحر (١)

إن تعجب فعجب قول المؤرخين الغربيين ومن شايعهم من العرب والمسلمين الذين يقرون بأن بناء الأهرام كان إعجازاً لا يصدقه عقل ومعجزة تسلب اللب ، وأن " العالم بأسره يخشى الزمن أمَّا الزمن فلا

(١) نفسه ص ٣١-٣٣ .

يخشى غير الأهرام " [١] أنه في خلال فترة وجيزة تحول المصريون البسطاء الذين يبنون بيوتهم الصغيرة بالطين إلى عمالقة تشيد صروحاً لم يشهد لها العالم مثيلاً من قبل ومن بعد ، حتى هؤلاء المصريون عجزوا عن بناء أهرام مثلها على العكس من منطق الأشياء ، الذي يقضي بأن التقدم يسير للإمام.

ومع اعتراف المؤرخين بهذا لا يريدون أن يعترفوا بأن ايمحوتب نبي الله الذي ازدهرت في عصره عقيدة التوحيد الخالص لله هو الذي شيد الهرم الأكبر بعدما أمدَّه الله بالعلوم التي مكنته من ذلك .

والأعجب أنهم يعترفون بان ايمحوتب هو " مصمم – ولا شك – هرم زوسر المدرج بسقارة الذي يعتبر أقدم أثر ضخم في مصر " [٢] وكما أنهم يعترفون بأن الفرق الزمني بين بناء هرم زوسر (المعجز) وهرم خوفو (غاية الإعجاز) لا يزيد إلا نحو نصف قرن بحسابهم . وهو ما يعني أن المُشيِّد واحد .

المصريون القدماء والطب

أما في الطب فقد بدأ التحنيط منذ الأسرة الثانية ، وكان الأطباء متخصصين : أعين ، باطني ، أسنان ، وكانت هناك كتب طبية منذ الأسرة الخامسة المعلومات فيها مرتبة ترتيباً علمياً منطقياً حيث فحص مؤلفها الجسم الإنساني من الرأس إلى القدمين ، ورتب مادتها ، وقد دون بها عشر حالات عن الجمجمة وتسعاً عن الأنف وعشراً عن الفك والأذن والشفتين وستاً عن الزور والرقبة وخمساً عن الترقوة والكتف ومشط الكتف وستاً عن الصدر ومقدمته ، وواحداً عن العمود الفقري [٣]

---

(١) د. إيفار ليسنر " الماضي الحي " ترجمة شاكر إبراهيم . الهيئة العامة للكتاب .ص ٦٠ .
(٢) نفسه ص ٥١ .
(٣) أحمد حسين " موسوعة تاريخ مصر " ج١ص٦٥ دار الشعب

وفي جميع أنواع العلاج التي استخدمها الطب المصري كانت طبيعية لا أثر فيها لمواد كيماوية فقد كان يعالج عن طريق الحواس السبع بعد إضافة حاستي : الروح والقلب للخمسة المعروفة كالتالي : الأعشاب الطبية عن طريق الفم (التذوق) وكان يتعرف عليها عن طريق " بندول ، وبعض أنواع العصي وغير ذلك من الأدوات اللازمة وكلها لها خاصية عدم الثبات والقدرة على الحركة حتى تسجل وترصد أي تغيير في المجال فيتحرك الجهاز أو الأداة " (١) والألوان للعين (البصر) والروائح للأنف (الشم) ، وإبرة حورس السحرية (اللمس) التي عرفت فيما بعد باسم الإبر الصينية ، الموسيقا للأذن (السمع) بالإضافة إلى الإشكال الهندسية لتقوية المناعة التي عرفت بعد ذلك باسم البيوجومتري أو علم هندسة الطاقة ، كل هذا إلى جانب علاج حاستي : القلب والروح اللذان كان يتم علاجهما عن طريق الصلاة والدعاء ولذكر والعبادة ...

والمصري عندما يتعامل مع عناصر الطبيعة ، وما بها من حيوان أو طير ، أو نبات يتعامل معه تعامله مع كائن له روح وإحساس ، يتعامل معه تعامل المحب المتعاون ، لا السيد القاهر ، فهو يعلم أنها مخلوقات لله مثله وفقاً لقانون " ماعت " كما سبق ذكره .

وبإيمان الإنسان وعمله الصالح ينضم إلى العابدين الساجدين لله من خلقه ، أما من أبى واستكبر وكان من الكافرين فقد انضم إلى إبليس ولي العاصين لله ، وحق عليه العذاب في الآخرة والشقاء في الدنيا ، فمن أعزه الله عز ، ومن أهانه فما له من مكرم.

---

(١) د. إبراهيم كريم في حوار معه أجرته مجلة أكتوبر ونشر في العدد ١١٦٨ الأحد ١٤ مارس ١٩٩٩ ص ٥٠.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاء﴾ [الحج : ١٨]

ولقد قام د. إبراهيم كريم (١) مستشار العمارة وصاحب علم بيو-جيومتري الجديد ونجل د. سيد كريم بالاستفادة من علوم الفراعنة وقد حقق إنجازات عظيمة شهد العالم كله له بها وقد توصل إلى " استخدام الزوايا بأشكالها المختلفة في علاج الأمراض ، فكل مجموعة يناسبها زاوية بمقدار معين ، وإن هذا العلم موجود منذ بداية وجود الإنسان على الأرض والباحث المتأمل سوف يرى أن الإنسان الأول قد عرف هذا العلم واستغله ودونه على بعض الآثار المختلفة " (٢)

ويكشف لنا هذا العلم لغز اهتمام الحضارة المصرية بالصور والرسومات المختلفة والتي ظن الناس خطا أنها معبودات عبدها المصري القديم ولكنها في الحقيقة ما هي إلا قوة مكنته من التعامل مع الأشياء .

ويؤكد د. إبراهيم على معرفة المصريين القدماء لعلم الإحساس بالإشعاع أو الموجة الذاتية (راديستيزيا) فيقول :" قد عرف الطب الفرعوني فوائد القياس الذبذبي خصوصا في جراحات المخ وفتح

---

(١) د. إبراهيم كريم حاصل على شهادة أكسفورد وكامبردج متروكوليشن ، ودرس الهندسة المعمارية في معهد التكنولوجيا في زيورخ وحصل على البكالوريوس عام ١٩٦٧م ثم على الدكتوراه في العلوم عام ١٩٧٥، رئيس لجنة تأثير الأشكال الهندسية على الوظائف الحيوية التابعة للمركز القومي للبحوث ، وصاحب براءة اختراع الأشكال الهندسية

(٢) د. إبراهيم كريم في حوار معه أجرته مجلة أكتوبر ونشر في العدد ١١٦٨ الأحد ١٤ مارس ١٩٩٩ ص ٤٩.

الجمجمة ، فكان الطبيب المصري القديم يستخدم القياس الذبذبي لتحديد مكان الورم ثم يفتح الجراح فتحة صغيرة ويزيله من خلالها وهذا التكنيك ثابت في أوراق البردي المختلفة " [١] .

فوائد صحية للعبادة

والنظرية الجديدة التي يقدمها د. إبراهيم كريم تؤكد أن مصدر هذا العلم إلهي وليس بشري أن الله تعالى قد جعل في العبادة التي فرضها على عباده فوائد صحية عظيمة كشفها علم (الرادويستيزيا) فقد كشف بعض أسرار الوضوء والصلاة يقول د. إبراهيم كريم " إن الطاقة الذبذبية تتجمع وتختزن في مناطق دهون الإنسان .. لماذا ؟ لأن الدهون عازلة تعزل ما في داخل الجسم عن الرنين ، وتتجمع فوقها أيضا الطاقة الذبذبية التي علقت بالإنسان خلال الحياة اليومية . وعند الوضوء ، وعند غسل مناطق الوضوء وهي تلك الأجزاء الظاهرة من جسم الإنسان التي تتعرض للطاقة الذبذبية الصادرة عن الآخرين والأشياء ، فإن هذه الذبذبة تسقط مع ماء الوضوء وهذا هو أحد أسرار الوضوء في تأهيل الإنسان للتركيز في الصلاة . أما عن الصلاة فإن الإنسان يضبط رنينه الخاص على أماكن العبادة التي يتوجه إليها مثل القبلة والكعبة."[٢]

كما أن للدكتور إبراهيم كريم رؤية خاصة عن أسرار الذكر وأسماء الله الحسنى وما لها من طاقة ومجالات ذبذبية هائلة ، كما أنه يستغل هذا العلم في بناء منازل ومبان بزوايا هندسية معينة ترفع من مستوى الطاقة عند الإنسان أو زوايا تزيد الطاقة الروحية أو درجة الشفافية الروحية عند بناء أماكن العبادة .

---

(١) نفسه ص ٥١ .
(٢) نفسه ص ٥١ .

الحياة الاجتماعية للمصريين القدماء

تكلما عن الحياة الدينية ، والعلمية عند الفراعنة ولم يبق إلا الحديث عن الحياة الاجتماعية عندهم :

كان المصريون في عهد القديمة يؤلفون طبقتين : الطبقة الحاكمة وطبقية الشعب .وتتألف الطبقة الحاكمة مكونة من الفرعون وآله (أي أهله) وملئه وهم الكهنة والوزراء وكبار رجال الدولة وهم قلة في المجتمع .

أما طبقة الشعب فكانت تتكون من صغار موظفي الدولة والفلاحين والعمال والتجار والصناع وكان وضعهم التالي .

الفلاحون : كانوا يمثلون معظم السكان وهم مرتبطون بالأرض ويشتغلون بالفلاحة وبالخدمة في الأراضي الملكية وضياع الأمراء وعظماء الدولة .

العمال وهم دون الفلاحين في العدد ويعملون في البناء والتشييد وصناعة الأدوات والحياكة وغيرها من الحرف التي لا يستغنى عنها مجتمع متحضر.

أما بقية المهن كالتجار والصيادين والجنود النظاميين فنسبتهم قليلة إذا قيست بالفلاحين والعمال .

والذي يهمنا أن جميع أفراد الطبقة الشعبية كانت سعيدة بعملها " فليس من شك في أنها تعبر عن المثل الأعلى في إدراك ألي الأمر معنى معاملة الأتباع بالحسنى والعدل . ويبدو في كثير من مناظر الحقول والمصانع المصورة على جدران المقابر أم ذلك كان عملاً ساراً بهيجاً ، كثيرا ما تصحبه النكات المتبادلة .. وكثيراً ما يقترن بالأنغام

الموسيقية إذ أن أولي الأمر كانوا بطبيعتهم يميلون إلى المرح والسرور والتنعم بأكبر قسط من متع الحياة ، وكانوا يحبون أن يروا بيئتهم سارة بهيجة وليس هناك على كل حال مجال للقول بأن هؤلاء الأتباع كانوا يستغلون استغلالا سيئا خاليا من الرحمة .

كما أنه لا مجال للقول كذلك بأن المصريين كانوا فريقين : أغنياء ينغمسون في متع الحياة ، وعامة الشعب الذين أضر بهم شظف العيش وقسوة الحياة ، فإنه لا أساس لما يذهب إليه الكثيرون من أن عهد الدولة القديمة كان عهد ظلم واستبداد لمصلحة الملك ومصلحة الدولة استعبد فيه آلاف من أفراد الشعب في بناء الأهرام والمباني الضخمة . ليس هناك دليل واحد يمكن الاعتماد عليه للأخذ بهذا الرأي . على أن هذه المباني الضخمة تدل على نقيض ذلك وما تدل عليه من حسن تنظيم وإدارة يمكن أن تشير إلى نقيض ذلك ، ويدعم ذلك ما تمثله سائر الفنون وصناعات ذلك العصر من حضارة راقية تكفي للتدليل على انتفاء أي وظلم واستعباد وقع على أصحاب هذه الحضارة " [١] إن ما قدمته مصر للعالم في مختلف علوم التشريع وقوانين المجتمع وحقوق المرأة كذلك في علوم الري والزراعة ومختلف الحرف والصناعات وفنون الحياة ، كذلك في الرياضة وألعابها القديم منها والحديث وقد خرجت كلها من مصر ، لا تقل أي منها أهمية عما قدمته الحضارة المصرية من أسس وعراقة في علوم الطب والفلك والعمارة"[٢]

---

(١) د. نجيب ميخائيل إبراهيم " مصر " ص ١٩١ مؤسسة المطوعات الحديثة الطبعة الثالثة .
(٢) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " مرجع سابق ص ٣٨٦

رؤية إسلامية للحضارة المصرية

إن التفسير الديني الذي تبنيناه هو ما يحل لنا ألغاز الحضارة المصرية وهي :

١- كيف ظهرت الحضارة المصرية القديمة متكاملة ومتطورة في جميع عناصر مقوماتها ، ولم تخضع لسنة النشوء والارتقاء كغيرها من الحضارات الأخرى .

٢- بلوغها الغاية في علوم الفلك والطب والكيمياء والهندسة والزراعة والفنون والآداب .

٣- بلوغها الغاية في الأخلاق الحسنة التي لا تقتصر على معاملة الناس بالخلق الحسن بل الحيوان والطير وكل خلق الله كذلك .

٤- معرفتها لدين الله الحق عقيدة اشتملت على أسرار الوجود والإيمان بالإله الخالق ، وشريعة نظمت حياة المجتمع .

٥- التبشير بهذه العقيدة بين شعوب العالم مما مهد طريق الحضارة لكل شعوب العالم فما من حضارة من الحضارات إلا واقتفى أثر الحضارة المصرية القديمة ، كل على قدر علمه وجهده .

٥- لغز بناء الهرم الأكبر ، وتوحيد مينا ، إخناتون ، وعبقرية ايمحوتب.

تحوت . وهرمس . وإدريس ثلاثة أسماء لمسمى واحد

لقد فجرت الحضارة المصرية القديمة أول ثورة ثقافية جمعت بين العقيدة والمعرفة أو بين الدين والعلوم منذ فجر التاريخ وتشابكت جذورها فلم ينفصل أحدهما عن الآخر . لذا فقد أطلقوا على العلوم اسم المعرفة

المقدسة نسبوا كل شيء إلى الخالق عندما كانوا أول من آمن بوجوده فارتبطت المعرفة وعلومها بالسماء فنبتت جذورها في المعابد وأصبحت ضمن مقدساتها . لم تخضع لمبدأ التجارب والخضوع لسنة النشوء والتطور بل خرجت إلى النور متكاملة يعززها البحث العلمي الذي فنسبوها إلى المعبود " تحوت " المعروف عند اليونان باسم هرمس المثلث بالنبوة والحكمة والملك ، وأكثر العلماء المسلمين يجمعون على أن هرمس هو سيدنا إدريس عليه السلام .

يقول الإمام المناوي " قال ابن فضل اللّه: كان إدريس يسمى هرمس المثلث كان نبياً وحكيماً وملكاً ووزيراً. قال أبو معشر: هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية وأول من عمل الكيمياء وأول من بنى الهياكل ومجد اللّه فيها وأول من نظر في الطب وتكلم فيه وأنذر بالطوفان وكان يسكن صعيد مصر فبنى هناك الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصناعات وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده حرصاً منها على تخليدها بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم وأنزل اللّه عليه ثلاثين صحيفة ثم رفعه مكاناً عليا "[١]

وهذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على كلام المؤرخين على تحوت .

يقول الشهرستاني في " الملل والنحل "

" حِكَم هرمس العظيم المحمودة آثاره، المرضية أقواله وأفعاله، الذي يعد من الأنبياء الكبار، ويقال : هو إدريس النبي عليه السلام، وهو الذي وضع أسامي البروج والكواكب السيارة، ورتبها في بيوتها، وأثبت لها الشرف والوبال ، والأوج، والحضيض."[٢]

---

(١) الإمام المناوي " فيض القدير شرح الجامع الصغير " الجزء الثالث تابع حرف الهمزة

(٢) الملل والنحل للشهرستاني الجزء الثاني الباب الأول الفصل الثاني أصحاب الروحانيات .

وقال القنوجي في كتابه أبجدية العلوم :

" إن آدم عليه السلام كان يرسم الخطوط بالبنان، وكان أولاده تتلقاها بوصيته منه، وبعضهم بالقوة القدسية القابلة، وكان أقرب عهد إليه إدريس عليه السلام، فكتب بالقلم واشتهر عنه من العلوم ما لم يشتهر عن غيره، ولقب بهرمس الهرامسة والمثلث بالنعمة لأنه كان نبيا ملكا حكيما.

وجميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عنه ، في قول كثير من العلماء، وهو هرمس الأول ، أعني إدريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن شيث ابن آدم عليه السلام المتمكن بصعيد مصر الأعلى"(٢)

ويقول حاجي خليفة في " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون "

وقالوا: إنه أول من تكلم في الأجرام العلوية، والحركات النجومية، وأول من بنى الهياكل، وعبد الله – تعالى – فيها، وأول من نظر في الطب، وألف لأهل زمانه قصائد في: البسائط، والمركبات، وأنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض، فخاف ذهاب العلم، فبنى الأهرام التي في صعيد مصر الأعلى، وصور فيها جميع الصناعات والآلات، ورسم صفات العلوم والكمالات، حرصا على تخليدها، ثم كان الطوفان، وانقرض الناس، فلم يبق علم ولا أثر، سوى من في السفينة من البشر، وذلك مذهب جميع الناس، إلا المجوس، فإنهم لا يقولون بعموم الطوفان، ثم أخذ يتدرج الاستئناف والإعادة، فعاد ما اندرس من

(٢) أبجد العلوم للقنوجي ج١ / ص ١٦٤

العلم إلى ما كان عليه من الفضل والزيادة، فأصبح مؤسس البنيان، مشيد الأركان،لا زال مؤيدا بالملة الإسلامية، إلى يوم الحشر والميزان.(١)

إذن " تحوت " الذي حيَّر كل المؤرخين بما جاء به من العلوم المقدسة والتي تعد أساس كل معرفة عرفها البشر ما هو إلا نبي الله إدريس المصري الأصل ، وما العلوم المعجزة التي جاء بها إلا عطاء الله تعالى للبشرية لتعينهم على إصلاح الأرض بالعلم النافع والعمل الصالح ، ويشكروا الله تعالى عليها وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾

[النحل ١٨– ٢٢]

وهذا ما يؤكده " ساونيرون " فيذكر في كتابه عن أسرار المعرفة المقدسة " أن تحوت ما هو إلا رمز عن الكهنة الذين نزلوا أرض مصر في عهد ما قبل الأسرات وأسسوا معبد آمون " عين شمس " بمعاهده ومرصده الذي أطلق عليه قدماء مؤرخي الإغريق " قلعة المعرفة المقدسة " .

فضل الحضارة المصرية على البشرية

من تلك القلعة خرجت جميع عناصر الحضارة المصرية مقوماتها ومنجزاتها في مختلف علوم الحياة وفنونها وآدابها ، وأسرار العقيدة وتشاريعها ونظمها .

([1]) الحاجي خليفة " كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون " ج١ ص ٢٧ .

في مجال الثقافة : أنزل " تحوت " (سيدنا إدريس) الحرف والكلمة والنطق وأسماء الأشياء جميعها وعلم الإنسان الكتابة والقراءة ليقرأ تعاليم الآلهة وينعم بالحكمة والمعرفة .

فكانت الكتابة الهيروغليفية (النقش المقدس) التي دونوا بها كتابهم المقدس ثم مختلف الخطوط الهيراطيقية والديموطيقية التي دونوا بها آدابهم وفنونهم ومختلف علوم الحياة .

وبنزول الكتابة ابتكر المصري القديم الورق ذلك الابتكار الحضاري الفذ قوام الحضارات جميعها ، ومازالت تنعم به الإنسانية إلى الآن . صنعوه من البردي (بابي أور) هو الاسم الذي احتفظ به العالم الحديث وأطلقه على الورق في جميع اللغات .

ومع اختراع الورق اخترع المصري القديم القلم الذي صنعه من غاب النيل والحبر من نبات النيلة والفرشاة من الريش لرسم الخطوط الزخرفية والحبر الأحمر والألوان وانتقلت كل منها لتترك بصمات مصر على جميع الحضارات وامتدادها .

وقرأ وسجل ودون .. أول من كتب التاريخ كتبه على الورق والألواح الارتواز والفخار والأحجار الصلبة لإيمانه بحق الأجيال القادمة في حمل رسالة الثقافة .

وأعظم تجربة في نشر الثقافة ومحو ألامية في عهد الفراعنة رسالة الإعجاز التي سجلها التاريخ لإخناتون عندما نادى :

" أول أركان الإيمان بالله هو العلم والجهل كفر " .

وقد ازدهرت جامعة " أون " القديمة بمختلف علوم اللاهوت والفلك والطب والهندسة والرياضيات والزراعة والفنون والآداب في وقت واحد

وفيها نشا أول مذهب ديني لتفسير نشأة الوجود والتوحيد ومنها تخَّرج ايمحوتب وإخناتون وانتسب إليها أكثر الأنبياء والفلاسفة والعلماء الذي وضعوا أسس الحضارة وأنظمة المجتمع للعالم أجمع .

ومنها خرج التقويم الشمسي المربع الذي قسم السنة إلى ٣٦٥ يوما وربع ، كما نسب إليها معجزات العلوم الرياضية الهندسية وعلوم ما وراء الطبيعة التي بنوا فيها الأهرام والتي وقفت تتحدى العصر الالكتروني الحديث الذي مازال يقف حائرا وعاجزا عن تفسير ألغازها أو حل رموز أسرارها .

ومن معبد " أون " خرجت بعثات الكهنة ابتداء من الأسرة الأولى لنشر عقيدة التوحيد في جميع أنحاء الوادي ، وإقامة المعابد ، والمعاهد العلمية التابعة لها لنشر العلم والمعرفة .

وقد استمر معهد " أون " يؤدي رسالته العلمية والحضارية تلك الفترة التي استمرت ما يقرب من ثمانية آلاف عام حتى بداية الغزو الفارسي عندما دخل " قمبيز " مصر عام ٥٢٥ ق.م فحرق معبد " أون " وهدم معاهده ومرصده وحرق وثائقه وأمر بتحطيم بوابات الشمس وجميع مسلات المدينة.

وآخر جامعة في تاريخ الفراعنة جامعة الإسكندرية ومكتبتها المشهورة والتي بنيت ٢٩٦ ق.م في عهد بطليموس ولعبت دورا كبيرا في نقل الحضارة المصرية وعلومها إلى الإغريق والرومان فكانت وسيلة الاتصال المباشر بين مصر وأوربا خصوصا أن التعليم بها كان باللغتين المصرية واليونانية .

ثمار إثبات توحيد المصريين القدماء

قد يسأل سائل : ما الفائدة من إثبات معرفة المصريين للتوحيد ؟

وإثبات نبوة تحوت ، ومينا ، وإخناتون ، وايمحوتب ؟

إن الثمار التي تجنى من إثبات توحيد المصريين القدماء كثيرة وجليلة أهمها :

أولا : إن إثبات توحيد المصريين القدماء لله ، وإثبات نبوة هؤلاء وغيرهم حجة دامغة لعلماء الأديان والآثار والمؤرخين في الغرب بصدق نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فما جاء به أنبياء المصريين من عقيدة وعبادة جاء بها سيدنا محمد في أروع صورها وأتمها و أكملها . (١)

ثانيا : إن إثبات نبوة تحوت ، وإخناتون ، ومينا ، وايمحوتب ، وغيرهم من أنبياء مصر الذين ظهروا إبان الحضارة المصرية القديمة يكشف لنا لغز هذه الحضارة التي عجز كل المؤرخين عن حله ووقفوا إزاءها وقوف قروي ساذج أمام طائرة تحلق بلا طيار . أو بمعنى أدق وقوف اليهود أمام خلق عيسى من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيراً بإذن الله .

ثالثا : إن إثبات نبوة أنبياء مصر دليل قاطع على أن عقيدة التوحيد هي دين الله الذي جاء به كل الأنبياء من لدن آدم إلى محمد رسول الله ومن أين يتأتى الاختلاف والمرسل واحد تبارك وتعالى .

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن

(١) للمؤلف كتاب مستقل حول هذا الموضوع اسمه " رؤية إسلامية للحضارة الفرعونية " تحت النشر

يُنِيبُ ، وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[الشورى : ١٣ ، ١٤]

أنظر إلى ختام الآية الكريمة التي تفضح أهل الكتاب الذين رفضوا الرسالة الخاتمة وفرقوا بين دعوة الأنبياء رغم أنها واحدة لا اختلاف فيها فكلها من عند الله الواحد الأحد .

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ {١٣٠} إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {١٣١} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ {١٣٢} أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[البقرة : ١٣٠– ١٣٣]

نعم الإسلام هو دين الله الذي أنزل به كل الأنبياء هو دين آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ولوط ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى وداود وسليمان وأيوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين وعلى من لم يذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم من الأنبياء والمرسلين .

وتوحيد المصرين القدماء هو ما يكشف لنا لغز الحضارة المصرية الذي حير كل المؤرخين .

يكشف لنا سر الهرم الأكبر ، والتحنيط ، التقدم المعجز في العلوم : الطب ، الرياضيات ، والهندسة ، والفلك .. والفنون والآداب ..

إذا عرفنا أن امحتب الذي جاء بمعجزات في الطب ، والهندسة ، والبناء ، ومشيد أول هرم " هرم زوسر " المدرج بسقارة . كان نبيّاً من الأنبياء وأن ما جاء به من معجزات كانت بإذن الله .

وأن مينا ما وحد القطرين إلا بتوحيد العقيدة ، وهناك صورة للملك " مينا " وهو عائد من الوضوء ، وخلفه الكاهن الموضِّئ يحمل النعل وإبريق الماء" (١)

كيف انهارت الحضارة المصرية القديمة ؟

لم يكن تاريخ مصر كله تاريخ توحيد لله وإعمار لكونه فقد تعرضت مصر لفترات ضعف للعقيدة وخروج على قانون " ماعت " مما نتج عنه الفوضى والاضطرار والضعف وللانهيار حدث هذا مع نهاية الأسرة السادسة – كما سبق أن ذكرنا – حين انفلت زمام الحكم من يد الفرعون ، وساد الانحلال والتفكك الاجتماعي ، وشبت نيران الحرب الأهلية حوالي ٢٢٠٠ ق.م إلى أن جاء منتوحتب الثاني أمير طيبة سنة ٢٠٦٥ ونجح في توطيد النظام واستتباب الأمن ، ثم وهب الله تعالى مصر رجلاً عظيماً هو امنمحات الأول صحاب الفضل الأكبر في بناء النهضة التي ظهرت في أيام العصور الوسطي ، ولقد أعلن نفسه مخلصاً بواسطة نبوءة ، وكان من أتباع " أمون " (الذي لا تدركه الأبصار) وتعاقب من بعد امنمحات الأول سبعة ملوك نهضت البلاد في أيامهم نهضة شاملة ، وتمتعت بقسط كبير من الرخاء والعمران ، وخاصة في عهدي سنوسرت الثالث ، امنمحات الثالث، وكانت نهاية الدولة الوسطى إلى حد كبير شبيهة بختام أيام الدولة القديمة ، إذ خلف

(١) انظر كتاب " ليسوا آلهة " ص ٢٦٨ .

امنمحات الثالث ملوك ضعاف تلاشى على أيديهم نفوذ فرعون مصر تماماً فكان ذلك نذيراً بانتهاء أيام تلك النهضة ، ودخول مصر مرة ثانية في عصر الفوضى والظلام .

وبسقوط عقيدة التوحيد مع نهاية الدولة الوسطى حوالي ١٧٧٥ ق.م كثر تطلع كبار الموظفين وقواد الجيش وكل ذي سطوة إلى العرش ، ما كاد يجلس أحدهم عليه قليلاً حتى يقتله أو يخلفه آخر ليحل محله ، ونتج عن ذلك أن تعددت المؤامرات ، واضطرب الأمن وتسرب الفساد إلى كل مرافق الحياة ، وكانت النتيجة الحتمية لاضطراب أحوال البلاد وتفككها وضعف حكومتها أن سقطت فريسة حوالي ١٧٢٥ ق.م في يد القبائل الرعوية التي كانت تسكن فلسطين والتي أطلق عليها الهكسوس ، وبعد قرن من احتلال الهكسوس مصر استطاع أحمس أن يطردهم من مصر ، ويعيد إلى مصر نهضتها ، ولكن ختمت الدولة الحديثة أيامها حين تلاشت سلطة الفرعون تماماً وولت أيام العظمة وتكالبت العلل على مصر وبدأ عهد مظلم طويل كان فصل الختام في التاريخ الفرعوني ، ويعِّرفه المؤرخون اصطلاحاً باسم العصر المتأخر ، الذي كان عصر ضعف واحتلال أجنبي .(١)

وبرغم عصور الظلام التي عاشتها مصر بعد سقوط العصر المصري القديم حتى أشرق عليها نور الإسلام إلا أن الحضارة المصرية التي قامت على أرضها تظل خالدة وشاهدة على أصالتها ، وعلى نشأتها الدينية السماوية ؛ فلم يكن قبل المصريين من ينقلوا عنه أو يقلدونه بل خلقوا تلك الحضارة خلقاً وأنشئوها معتمدين على الإيمان بالله الواحد

(١) د. على رضوان " مصر القديمة " مرجع سابق ص ١١، ١٢

الأحد ، وعلى ما جاء به أنبياؤهم من علوم مقدسة ، ولقد تميزت تلك الحضارة أيضاً باستمرارها عدة آلاف من السنين راسخة ثابتة الأركان والأوصال .

كما تميزت تلك الحضارة بتأثيرها على العالم القديم بما نشرته من نور المعرفة والعلم حتى نقل الإغريق عنها الكثير ، والذين قاموا بدورهم بالتأثير على النهضة الأوربية الحالية ، وأخيراً تميزت الحضارة المصرية بما تركته من آثار ، وبما احتفظت به من روائع الصناعات والفنون التي تملأ متاحف العالم شاهدة بما بلغه المصريون القدماء من تقدم وما أحرزوه من نجاح . (١)

ونخلص من دراستنا للحضارة المصرية القديمة إلى أنها قامت على أسس هي :

١- العقيدة الخالصة لله تعالى . هي مفتاح كل خير .

٢- وجوب الإيمان بأنبياء الله والعمل بما جاءوا به من هدى .

٣- لا حضارة بغير إيمان بدين الله الحق واتباع شرعه .

٤- مقياس العمل النافع يكون بمدى ملاءمته لطبيعة الإنسان ولنظام الكون .

٥- التعاون بين سائر المخلوقات ضرورة لصالح كل الكائنات .

٦- انتشار العدل والمحبة أعظم دافع للعمل المثمر البناء .

٧- إتقان العمل وإخلاصه يكون لوجه الله وليس غير .

---

(١) نفسه ص ١٢ .

٨- وجوب حب الطبيعة وما بها من كائنات ، والتعاون معها لا إفسادها .

٩- شريعة الله لا تتعارض مع نظام الكون ولا مع طبيعة الإنسان .

١٠- الحضارة المصرية القديمة بدأت كاملة لأنها بنيت على شرع الله.

***